

أئمة السلفين هم سبب تأخر المسلمين:

أحمد صبحي منصور

أولا : حتى نهاية العصر الأموي لم تكن هناك حركة علمية تذكر؛ كانت هناك مجالس علم متفرقة تروى شفها تاريخ النبي عليه السلام ووقائع الفتوحات والفتنة الكبرى بين علي ومعاوية وما تلاها. فى الفتنة الكبرى الحروب الأهلية استخدم معاوية أبا هريرة فى التشنيع على (على بن أبى طالب) بصنع أحاديث ينسبها للنبي عليه السلام. واستحدث معاوية وظيفة القصاص (مثل وزارة الاعلام فى عصرنا)، فكان يجلس القاص بعد الصلاة ليحكى للناس ويخلط اقاصيله بالتشنيع على (على) وشيعته ومدح معاوية وآله ، بل إن معاوية فرض لعن (على) فى خطبة الجمعة وصارت تقليدا استمر طيلة العصر الأموي لم ينقطع إلا فى خلافة عمر بن عبد العزيز. هذه الدعاية الأموية ضد (على) والتي واكبت الحروب المسلحة بينهما قوبلت من الشيعة بحرب دعائية أخرى من خلال السبئية الأولى التى زعمت تأليه (على) وأرست تقديس (على) وبنيه وعصمتهم وحقهم المقدس فى الخلافة والامامة ، مع تكفير أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو والزبير و أبى هريرة وفق معتقد الشيعة حتى الآن فى (التولى) لعلى وبنيه و(التبرى) من خصومه السياسيين من كبار الصحابة. إذن دارت بدايات الحركة العلمية فى العصر الأموي على الروايات الشفهية ووضع أحاديث لأغراض سياسية صاحبت الحروب الأهلية بين الصحابة ، أو ما يعرف بالفتنة الكبرى. أى إنه منذ البداية تأسس الفكر السنّى على محورين خلط الدين بالسياسة و الكذب على خاتم النبيين ، وجعل تلك الأكاذيب - فيما بعد - وحيا الإلهيا تحت اسم السنّة ، والتي أرست فيما بعد ما يعرف بالثقافة السمعية، أى إن فلانا سمع هذا الحديث من فلان ويروى هذا الحديث عن فلان .

ثانيا : توطيد الخلافة العباسية أتاح للمسلمين التعرف على منهج علمى جديد يعتمد على الفكر ثم التجربة . فقد إنفتح العرب والمسلمون على مدارس الفكر اليونانى فى مدن انطاكية والرها و نصيبين وحران والاسكندرية . وتم تعريب المصادر اليونانية وقامت عليها حركة علمية حقيقية احترفت التدوين وركزت على الفلسفة بمفهومها العام وقتئذ ، أى الفلسفة العقلية والطب والعلوم الطبيعية وماوراء الطبيعة مع علوم الشرع. وانتجت هذه الحركة العلمية علماء تفخر بهم الحضارة الاسلامية، نذكر منهم :

1 - جابر بن حيان (117 هـ / 737 م). اشتهر بالإيمان والورع وقد أطلق عليه ألقاب "الأستاذ الكبير" و"شيخ الكيميائيين المسلمين" و"أبو الكيمياء" و"القديس السامي التصوف" و"ملك الهند". وعرف عند الأوربيين في القرون الوسطى باسم Geber. مارس جابر الطب في بداية حياته تحت رعاية الوزير جعفر البرمكي أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد.

2 - الكندي(185 هـ - 256 هـ / 805 - 873) ويعرف عند اللاتينيين باسم Alkindus. فيلسوف عراقي عربي قحطاني مسلم. وعالم موسوعي في الفلك و الكيمياء و الفيزياء و الطب و الرياضيات و الموسيقى و علم النفس و المنطق الذي كان يعرف بعلم الكلام آنذاك. كان من أول الفلاسفة المسلمين المتحولين. اشتهر بجهوده في تعريف العرب والمسلمين بالفلسفة اليونانية والفارسية. كان رائدا في الكيمياء والفيزياء والموسيقى والرياضيات وعلم النفس .

3 - الفارابي (874 - 950 م) اشتهر بإتقان العلوم الفلسفة والموسيقى وصناعة الطب. يعود الفضل اليه في ادخال مفهوم الفراغ إلى علم الفيزياء. تأثر به كل من ابن سينا وابن رشد.

4 - وقد عاش موسى بن شاكر في بغداد زمن الخليفة العباسي المأمون، وكان من المقربين من الخليفة، وقد اهتم بالفلك والتنجيم. وعندما توفي موسى بن شاكر، ترك أولاده الثلاثة صغاراً فرعاهم المأمون، ونشأ بنو موسى في هذا الوسط العلمي وأصبحوا أبرز علماء بيت الحكمة. اشتهر أبناء موسى بن شاكر(محمد وأحمد والحسن) بتكوين فريق علمي ، وقد كان أكبرهم محمد عالماً بالهندسة والنجوم و"المجسطي"؛ وكان أحمد متعمقاً في صناعة الحيل (الهندسة الميكانيكية) وأجاد فيها، وتمكن من الابتكار فيه؛ أما الحسن فكان متعمقاً في الهندسة. كتب بنو موسى في الهندسة والمساحة والمخروطات، والفلك، والميكانيكا، والرياضيات. ومن مؤلفاتهم: "كتاب الحيل"، وهو أشهر كتبهم، جمعوا فيه علم الميكانيكا القديمة، وتجاربهم الخاصة.

5 - ومثلهم الأطباء من آل بختيشوع ، وهم أسرة نبغ أفرادها في الطب وخدموا الخلفاء العباسيين ثلاثة قرون. أولهم جورجيس بن بختيشوع، اشتغل في التصنيف في الطب، ورأس بيمارستان جنديسابور، وقد استفدته الخليفة المنصور عام 765 م إلى بغداد لمعالجته وجعله طبيباً له، ثم خلفه ابنه بختيشوع في رئاسة بيمارستان جنديسابور، واشتهر أيضاً جبرائيل وبختيشوع وابنه عبدالله بن بختيشوع، ثم جبرائيل بن عبد الله، وهم من الطائفة المسيحية العربية(السريانية) المهاجرة إلى فارس قبيل الفتح الإسلامي، هرباً من اضطهاد بيزنطة.

6 - وحنين بن إسحق العبادي عالم ومترجم وعالم لغات وطبيب مسيحي نسطوري. أصله من الحيرة ولد عام 194 هـ / 810م، لأب مسيحي يشتغل بالصيدلة. وهو مؤرخ ومترجم ويعد من

كبار المترجمين في ذلك العصر، وكان يجيد - بالإضافة للعربية - السريانية والفارسية واليونانية. قام بترجمة أعمال جالينوس وأبقراط وأرسطو والعهد القديم من اليونانية، وقد حفظت بعض ترجماته أعمال جالينوس وغيره من الضياع. ينتمي حنين إلى قبيلة العبادي النصرانية. تعلم اليونانية والبيزنطية ودرس الطب في بغداد، وبرز حنين بشكل خاص في الترجمة حيث استطاع ترجمة كتب جالينوس وتعليقاته على كتب أبقراط، كما قام بتصحيح الكثير من الترجمات المعيوبة والخاطئة. وقد عينه الخليفة العباسي المأمون مسؤولاً عن بيت الحكمة وديوان الترجمة، وكان يعطيه بعض الذهب مقابل ما يترجمه إلى العربية من الكتب. ورحل كثيرًا إلى فارس وبلاد الروم وعاصر تسعة من الخلفاء، وله العديد من الكتب والمترجمات التي تزيد عن المائة، وأصبح المرجع الأكبر للمترجمين جميعًا ورئيسًا لطب العيون، حتى أصبحت مقالاته العشرة في العين، أقدم مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون وأقدم كتاب مدرسي منتظم عرفه تاريخ البحث العلمي في أمراض العين. توفي في سامراء عام 260 هـ / 873م. ساعده ابنه إسحاق بن حنين وابن أخته حبيش بن الأعسم.

7 - والبيروني في خوارزم (أوزبكستان) عاش بين (973 - 1048) وأطلق عليه المستشرقون تسمية بطليموس العرب. تعلم اللغة اليونانية والسنسكريتية خلال رحلاته وكتب باللغة العربية والفارسية. كتب البيروني العديد من المؤلفات في مسائل علمية وتاريخية وفلكية وله مساهمات في حساب المثلثات والدائرة وخطوط الطول والعرض، ودوران الأرض والفرق بين سرعة الضوء وسرعة الصوت، هذا بالإضافة إلى ما كتبه في تاريخ الهند. اشتهر أيضا بكتابه عن الصيدلة والأدوية كتب في أواخر حياته كتاباً أسماه "الصيدلة في الطب" وكان الكتاب عن ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائها.

8 - وبرز ابن سينا (980 - 1037م) في الطب والفلسفة، عرف باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبو الطب الحديث، وقد ألف 200 كتاب في مواضيع مختلفة، العديد منها يركّز على الفلسفة والطب. ويعد ابن سينا من أول من كتب عن الطبّ في العالم ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب..

9 - وابن الهيثم (965م - 1040م) اشتهر بمساهماته الكبيرة في الرياضيات والبصريات والفيزياء وعلم التشريح وعلم الفلك والهندسة والطب وطب العيون والفلسفة وعلم النفس والإدراك البصري.

10 - والرازي (864 - 923 م)، هو أحد أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق كما وصفته

زجرید هونکه فی کتابها شمس العرب تسطع علی الغرب حیث ألف کتاب الحاوی فی الطب کان یضم کل المعارف الطیبة منذ أيام الإغریق حتی عام 925م وظل المرجع الرئیس فی أوروبا لمدة 400 عام بعد ذلك التاریخ . ودرس الریاضیات والطب والفلسفة والفلك والكیمیاء والمنطق والأدب.

11 - والخوارزمی عالم الریاضیات والفلك والجغرافیا (780 - 850م)، اتصل بالخلیفة العباسی المأمون ورأس بیت الحکمة فی بغداد وعهد الیه المأمون برسم خارطة للأرض عمل فیها أكثر من 70 جغرافیا، وله مؤلفات فی ، وأهم مؤلفاته کتاب الجبر والمقابلة وقد ترجم الکتاب إلی اللغة اللاتینیة فی سنة 1135م وقد دخلت علی إثر ذلك کلمات مثل الجبر Algebra والصفر Zero إلی اللغات اللاتینیة.

12 - وابن رشد (1126م - 1198م) هو فیلسوف، وطیب، وفقیه، وقاضی، وفلكی، وفیزیائی. دافع عن الفلسفة ضد الفقهاء المتعصبین وصحح لفلسفة سابقین له کابن سینا والفارابی فی فهم بعض نظریات أفلاطون وأرسطو، وحاول التوفیق بین ارسطو وأفلاطون. عمل طیبیا لأبی یعقوب خلیفة الموحدین ثم قاضياً فی قرطبة وفی أشبیلیة، وتعرض فی آخر حیاته لاضطهاد الفقهاء المتعصبین فاتهموه بالكفر فهرب إلی مراکش وتوفی فیها.

13 - و الإدریسی (1100 - 1166م). أحد کبار الجغرافیین وصاحب الخریطة المشهورة فی أوروبا ، كما أنه کتب فی التاریخ والأدب والشعر والنبات.

14 - والزهرای (936 - 1013م)، اسمه فی اللغات الأوروبیة "Alzahravius" وکئیته إلی Abulcasis. ویعتبر أشهر جراح مسلم فی العصور الوسطی، والذي ضمت کتبه خبرات الحضارة الإسلامیة وكذلك الحضارة الإغریقیة والحضارة الرومانیة من قبله. وما کتبه الزهرای فی التولید والجراحة النسائیة یعتبر کنزاً ثمیناً فی علم الطب، إضافة إلی وصف طرق التولید، وطرق تدبیر الولادات العسیره، وکیفیة إخراج المشیمة الملتصقة والحمل خارج الرحم وطرق علاج الإجهاض وابتکر آلة خاصة لاستخراج الجنین المیت، وسبق د. فالشر بنحو 900 سنة فی وصف ومعالجة الولادة الحوضیة، وهو أول من استعمل آلات خاصة لتوسیع عنق الرحم، وأول من ابتکر آلة خاصة للفحص النسائی لا تزال إلی یومنا هذا. وقبل أن یطوّر العالم الحدیث الحقل الطبی کان کتاب الزهرای الطبی إلی جانب کتاب ابن سینا، یعتبر مرجعاً فی أوروبا علی مدى خمسة قرون، وهي فترة طويلة فی تاریخ الطب.

15 - وابن النفیس (1213 - 1288 م) عالم موسوعي وطیب له إسهامات کثیرة فی الطب،

وهو مكتشف الدورة الدموية الصغرى، وأحد رواد علم وظائف الأعضاء في تاريخ الإنسان، حيث وضع نظريات يعتمد عليها العلماء إلى الآن. وعين رئيساً لأطباء مصر. ويعتبره كثيرون أعظم فيزيولوجيي العصور الوسطى. ظل الغرب يعتمدون على نظريته حول الدورة الدموية، حتى اكتشف ويليام هارفي الدورة الدموية الكبرى. وقد درس ابن النفيس أيضاً الفقه الشافعي، كما كتب العديد من الأعمال في الفلسفة، وكان مهتماً بشكل خاص بالتفسير العقلاني للوحي. وخلاقاً لبعض معاصريه والسلف، اعتمد ابن النفيس على العقل في تفسير نصوص القرآن كما درس اللغة والمنطق والأدب.

16 - وموسى بن ميمون (1135 - 1204) اشتهر عند العرب بلقب الرئيس موسى. وُلِدَ في قرطبة توفى في القاهرة، واشتهر بأنه أهم شخصية يهودية خلال العصور الوسطى . وله تصانيف شهيرة مكتوبة باللغة العبرانية. وله في اللغة العربية كتاب "دلالة الحائرين" وكتاب الشرائع ومقالة في تدبير الصحة وكتاب فصول في علم الطب . وهرب موسى بن ميمون من تعصب سلاطين الموحدين في الأندلس، إلى القاهرة حيث إحتضنه صلاح الدين الايوبي فعمل طبيبا له وأستاذاً في المدرسة التي أنشأها يهود مصر في القسطنطينية لتعليم الديانة اليهودية والفلسفة والرياضيات والطب.

ثالثا : هذه مجرد أمثلة لتلك الحركة العلمية يتضح منها :

- 1 - إن علماءها انفتحوا على العالم يترجمون المعرفة الانسانية ويضيفون لها ، وكانوا حلقة فى التطور العلمى فى التاريخ العالمى لأنه على جهودهم قامت النهضة الاوربية التى ترجمت اعمالهم وتأسست عليها وطورتها الى ما نعيش عليه اليوم ..
- 2- إن حركتهم العلمية كانت بعيدة فى مجملها عن الانغماس فى السياسة.
- 3- شمولية المعرفة لدى بعضهم من طب وطبيعيات وفلسفة الى العلوم الشرعية.
- 4 - إنها كانت حركة علمية انسانية شارك فيها العرب وغير العرب واليهود والنصارى .
- 5 - إعتمادهم على العقل والتجربة - أحيانا خصوصا فى مجالات الطب والعلوم الطبيعية ، عكس الفقهاء الذين كانوا يحشون عقولهم بالروايات التى تزعم أن فلانا (سمع) من فلان وفق الثقافة السمعية المتخلفة و التلقينية . ولذلك اشتهر فقهاء السنة باسم (الحشوية) أى الذين يحشون

رءوسهم بروايات دون عقل أو فهم .
5 - والمسلمون من أصحاب المنهج العقلى العلمى التجريبي آمنوا باكتمال الاسلام بالقرآن ،
وقوله جل وعلا : (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة 3) . لذا فقد رفضوا نسبة آرائهم الدينية للرسول عليه السلام ، بل نسبوها لأنفسهم لتكون قابلة للنقد والنقاش.

هذا عكس أئمة الفقه الذين نسبوا آراءهم للنبي وجعلوها أحاديث نبوية وستة زعموا أنها وحى الالهى - بل تطرف الشافعى فى (الرسالة) وجعل تلك الأكاذيب التى نسبوها للرسول عليه السلام تنسخ أى تلغى القرآن الكريم . وبهذا ندخل على الجانب الاخر من الحركة العلمية ، وهم الفقهاء المحليون المحافظون الذين كانوا ينسبون آراءهم للنبي ويجعلونها أحاديث وستة . وأفضع خطأ وقعوا فيه هو (الاسناد) أى إسناد أقوالهم وآرائهم للنبي عليه السلام بعد قرنين وأكثر ، يزعمون أن فلانا رواها عن فلان عن فلان عن فلان...الى الصحابى فلان عن النبى . وهذا الاسناد ينافى العلم والمنهج القرآن و المنهج القضائى والطبيعة الانسانية . والتفصيل فى بحث (الاسناد) .

رابعا : ونعطى لمحة سريعة عن تطور الحركة الفقهية السنية.

1 - فقد استفادت من حركة التدوين فى العصر العباسى فتحولت من الرواية الشفهية الى كتابتها فى كتب ، وبينما كان أبوحنيفة رافضا لرواية الحديث و يفتى بعقله فقد أسس مالك منهج الاسناد أى نسبة الرأى الى الرسول ، حيث كان موطأ مالك هو أقدم كتاب مدون فى الحديث والفقه ، كما كان محمد بن اسحاق أول من كتب السيرة . وقد نشأ كلاهما فى المدينة كل منهما يعادى الآخر ، فمالك عربى ينتمى للانصار وقد ناصر ثورة محمد النفس الزكية ضد ابى جعفر المنصور العباسى مما عرضه للتعذيب على يد السلطة العباسية بعد هزيمة ثورة محمد النفس الزكية ، هذا بينما كان محمد بن اسحاق من الموالى الذين عانوا من الاحتقار من السادة العرب ، لذا أسرع ابن اسحاق بتأييد الدولة العباسية وترك المدينة ليعمل فى خدمة العباسيين ، وقد كتب من ذاكرته السيرة النبوية بتكليف من الخليفة المهدي يرسم فيها صورة للنبي عليه السلام تخالف حقيقته فى القرآن الكريم ، وينسب له قتل الأسرى وسبى النساء والولع بالنساء وارسال فرق الاغتيال ، بنفس ما كان عليه الحال فى بداية الدولة العباسية . كما كتب مالك من ذاكرته أيضا الموطأ .

2 - وكلاهما (مالك و ابن اسحاق) زعم أنه سمع الروايات التي تم تدوينها من محمد بن شهاب الزهري أشهر الرواة في العصر الأموي ، حين كان الزهري في المدينة. وهذا كذب من مالك ومن ابن اسحاق معا . أى اختلفا وتعاديا ولكنهما معا اشتركا في الكذب حين زعما أنهما روي عن ابن شهاب الزهري . ابن اسحاق لم يلتق بالزهري ، فابن اسحاق مولود في المدينة في حدود 86 وهو نفس العام تقريبا الذي غادر فيه الزهري المدينة ولحق ببلاط الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في دمشق يعلم اولاده ، وظل هناك يعلم أولاد الخلفاء الأمويين ولم يزر المدينة إلا زيارة خاطفة عام 106 مرافقا للخليفة هشام في الحج ، وظل في دمشق الى أن مات عام 124 . ومالك مولود عام 93 ، ووقتها كان الزهري في دمشق يعمل متفرغا في خدمة الخليفة عبد الملك بن مروان قبل مولد مالك بنحو ثمانى سنوات. فمتى واين لقي مالك بالزهري وروى عنه أحاديث الموطأ ؟ . إن الزهري لم يعيش في المدينة سوى فترة طفولته ومرافقتها حين كان يأخذ العلم عن العلماء التابعين من القرشيين والأنصار ، أما فترة تألقه كعالم فلم تكن في المدينة ولكن في دمشق . ولم تكن بين عوام الناس ومجالس العلم المتاحة للجميع . ولكن في قصور الخلافة الأموية مستشارا ومعلما لأولاد الخلفاء، بعيدا عن عوام الناس ومجالس العلم . وفي عصر الزهري لم يكن قد بدأ التدوين حيث سادت الرواية الشفهية للتاريخ والحديث و السيرة ثم تم تسجيلها في العصر العباسي وكان من السابقين في التدوين محمد بن اسحاق (85 : 151) ومالك (93 : 179) . وجاءت الجيل التالي (جيل ابن اسحاق ومالك) من العلماء في اوائل العصر العباسي وقد تأسست شهرة الزهري كالأشأن في كل علماء السلطة الذين يتمتعون بنفوذها و سلطانها ، مما جعل إسم الزهري مشهورا للعلماء اللاحقين في عصر التدوين الذين كان يحلو لهم أن يزعموا أنهم سمعوا تلك الروايات عن الزهري، وجاء هذا الزعم بعد موت الزهري بعشرات السنين .

3 - بعد مالك نتوقف مع كتابه (الموطأ) : مالك بن انس لم يكتب الموطأ ، ولكن مالك كان يروي الاحاديث ويسمعها منه تلاميذه ، ثم يكتبونها ، ولذا تعددت روايات الموطأ حتي بلغت نحو عشرين نسخة مختلفه ، ومنها نسخة او رواية محمد بن الحسن الشيباني التي نستشهد بها هنا ، وهي منشورة بتحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف استاذ علم الحديث ورئيس قسم السنة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

محمد بن الحسن الشيباني مع رفيقه أبي يوسف هما أشهر تلميذين لأبي حنيفة ، ولكن تنكبا طريق ابي حنيفة ، فلقد إشتهر ابو حنيفة برفض الأحاديث ورفض العمل لدى السلطة. ولكن أبا يوسف والشيباني عملا قضاة للعباسيين والتزما بسياستها في رواية الأحاديث ، ونعما بالثراء و السلطة

بينما تعرض شيخهما أبو حنيفة للتعذيب ثم القتل بالسهم عام 150 على يد الخليفة أبي جعفر المنصور ..

ومنهج محمد بن الحسن الشيباني في روايته وكتابته لكتاب الموطأ ان يقول (اخبرنا مالك) ثم يذكر الرواة نقلاً عن مالك. و محقق كتاب الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني يدافع عن الشيباني، يقول الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف : (وكل ما وجه من الطعون في محمد بن الحسن (الشيباني) مردود . وقد طعن ابن معين والعجلي في الشافعي : بأنه ليس ثقة . وابن عدى في ابي حنيفة ، وابو زرعة في البخاري لقوله بخلق القرآن . ويحي بن سعيد في ابراهيم بن سعد ، والنسائي في احمد بن صالح ، واحمد بن صالح في حرمة ، ومالك في ابن اسحاق ... وما من عالم من العلماء الا وقيل فيه شئ من ذلك) (مقدمة الموطأ ص 24) ونكتفي بهذا الاعتراف في اتهام ائمة الحديث والفقهاء لبعضهم البعض بالكذب مما ينفي عنهم العصمة والتقديس التي اضافها عليهم المتأخرون في عصور التخلف .

ومجموع احاديث الموطأ كلها (1008) في رواية الشيباني . و(الموطأ) هو أول كتاب فى الحديث والفقهاء. وقد تكاثر صنع الأحاديث بمرور الزمن حتى إن البخارى المتوفى عام 256 يقول إنه إختار أحاديث كتابه (صحيح البخارى) من بين 700 الف حديث رائجة تمت صناعتها بعد موت مالك بسبع وسبعين عاما فقط . ثم تضاعف عدد الاحاديث بتوالى القرون ليصل الى ملايين فى عهد السيوطى فى القرن العاشر الهجرى. وكلها أخذت منهج مالك فى الموطأ من حيث الاسناد للنبي عليه السلام كذبا وزورا ، ومن حيث تناقض الاحاديث مع بعضها . ونرى التناقض فى الموطأ خلال الموضوع الواحد ، ونكتفي هنا بمثال محدد : تحت عنوان (باب الوضوء من مسّ الذكر) أي عورة الرجل ، روى مالك 18 حديثا ، بدأ بحديثين يؤكدان علي ان مس الذكر ينقض الوضوء ، ثم 16 حديثا بعدها تؤكد كلها ان مس الذكر لا ينقض الوضوء. وهناك رواية في (الرجم) في الموطأ تحت رقم 697 ، وهي رواية كاذبة بكل المقاييس لأن مالك يرويها عن ابن شهاب (الزهري) الذي يروي الحديث عن النبي بنفسه ، مع ان ابن شهاب الزهري كان من التابعين ولم يدرك عصر النبي عليه السلام ، ومع ذلك نقرأ في الموطأ الاتي (اخبرنا مالك ، اخبرنا ابن شهاب (الزهري) ان رجلا اعترف علي نفسه بالزنا علي عهد رسول الله (ص) وشهد علي نفسه اربع شهادات ، فأمر به فحدّ. قال ابن شهاب : فمن اجل ذلك يؤخذ المرء باعترافه علي نفسه .) . إن ملامح الحركة الفقهية من بدايتها تتلخص فى الكذب على الرسول ، والانغماس فى السياسة والتناقض فيما بينهم وحتى التناقض فى الكتاب الواحد . وتلا

كتاب الموطأ مؤلفات الشافعى (150 : 204) : (الأم) و (الرسالة) ثم مؤلفات ابن حنبل والبخارى ..وملا تلاهم فى القرنين الثالث والرابع من الهجرة ، وبعدها كتب اللاحقون على نفس النسق لتتكون المذاهب الفقهية الأربعة ، و بسبب ظروف سياسية فقد سادت الأحاديث واكتسبت لقب السّنة - بدلا من لقب الحشوية - بدءا من عصر الخليفة المتوكل الذى تولى الحكم عام 232، واشتهر بالتعصب للفقهاء وأصحاب الحديث ضد المعتزلة والشيعة الصوفية وأهل الكتاب، وخبث بدءا من أيامه جذوة الحركة العلمية الفلسفية التجريبية.

خامسا : انتصار الجهل الفقهي على العلم، ثم الصراع بين الجهل السننى والجهل الصوفى

1 - وكان طبيعيا ان يحدث التصادم بين الاتجاه العلمى الفلسفى التجريبي الذى انجب نخبة من أعظم العلماء فى التاريخ الانسانى وبين الاتجاه الفقهي القائم على الكذب والتناقض . وتدخلت السياسة بسبب حاجة الحاكم المستبد الى رجال دين فقربت اليهم فى العصور التالية الفقهاء السننيين واضطهدت من أجلهم الجميع . وعلا شأن الفقهاء الحنابلة وسيطروا على الشارع العباسى بحديث (من رأى منكم منكرا فليغيره ...) والذى اخترعوه ليعطوا لأنفسهم سلطة دينية تجعلهم متحكمين فى الناس ، وعانى منهم الجميع حتى أئمة السننيين غير الحنابلة ، ومشهور اضطهادهم للإمام الطبرى بسبب خلافه معهم فى موضوع الاستواء على العرش ، وقد كتبنا فى هذا من قبل. أدى تطرف الحنابلة وتعصبهم وتدخلهم فى شئون الحكم الى تفضيل الحكام اللاحقين للتصوف ورجاله ، حيث اشتهر الصوفية بتأييد الحاكم وعدم الاعتراض عليه ورقصهم فى مواكبه ، وواكب هذا عقد الغزالي ت 505 الصلح بين السّنة و التصوف ، وقد كان زعيما للتارين معا ، ووقف ممثلا لهما ضد التيار العلمى و العقلى الذى كان يمثله ابن رشد . وأد هذا الى تقرير التصوف تحت اسم (التصوف السننى) وسقوط التيار العلمى .

ثم تسيد التصوف وعلا شأن المتصوفة على الفقه والفقهاء مع بداية العصر المملوكى فى القرن السابع الهجرى، وأدى هذا الى نتيجتين : * تطور الكذب من طريقة الاسناد وروى فلان عن فلان عن النبى الى علم لدنى يزعم فيه الولى الصوفى أنه يروى مباشرة عن الله تعالى وعن النبى بزعم الكرامات والعلم اللدنى وانه يأتيه الهاتف والوحى قائلا حدثنى قلبى عن ربى ، أو أنه يرى النبى فى المنام أو يرى رب العزة فى المنام. * أنتقام الصوفية من الفقهاء المعترضين عليهم ، أى كما اضطهد السننيون الصوفية فى القرن الثالث الهجرى اصبح الصوفية يضطهدون الفقهاء الثائرين فى القرن الثامن الهجرى كما حدث فى اضطهاد ابن تيمية ومدرسته.

2 - وفى العصر العثمانى إنحدر مستوى الفقهاء السننيين فامتلات كتبهم بتفصيلات مضحكة

مؤذية كنا ندرسها فى الازهر فى المرحتين الاعدادية و الثانوية ، مثل (حكم من يزنى بأمه فى نهار رمضان فى جوف الكعبة ماذا عليه من الإثم ، وحكم من لعضوه الذكرى فرعان وزنى بامرأة فى فرجها ودبرها فهل عليه حدّ واحد أم حدان ، ومن أصابه الجوع وهو فى صحراء فهل له ان يأكل لحم نبي من الأنبياء ، ومن حمل قربة مليئة بالفساء هل ينتقض وضوؤه ام لا ، ومن كان نائما على سطح فسقط على أمه فزنا بها وهو لا يعلم هل عليه حدّ أم لا ومن أدخل اصبعه فى دبر صديقه وهو صائم فهل يبطل صومه ام لا .!!؟). وأضحى التصوف السنن أكثر تسيدا وسيطرة فى العصر العثماني، فتأكد الاعتقاد فى كرامات الأولياء حتى المجاذيب و المتخلفين عقليا ، وارتد المسلمون الى جهل سحيق يصدقون كل خرافات الاولياء الصوفية . وتشجع شيوخ الصوفية فى العصر العثماني فكتبوا ما شاءوا من اساطير كراماتهم وكرامات شيوخهم واثقين من ايمان العصر بهم . حدث هذا مع غياب تام للمدرسة العلمية العقلية الفلسفية التى انجبت ابن سينا و الرازى وابن الهيثم .. الخ ..!!

3 - ونأخذ أمثلة من كتاب (لطائف المنن) للامام الشعراى أشهر شيوخ الصوفية فى العصر العثماني - يقول (ومما انعم الله تبارك وتعالى به على مساعدتى أصحاب النوبة (أى الأولياء الذين يتناوبون حفظ الأرض والسيطرة عليها وفق زعم الصوفية)فى سائر اقطار الارض فى حفظ أدراكهم من برارى ومدائن وبحار وقرى و جبال ، فأطوف بقلبي على جميع اقطار الارض ... وصورة طوافى كل ليلة على مصر وجميع اقاليم الارض اننى اشير باصبعى الى أزقة جميع المدائن والقرى والبرارى والبحار وأنا أقول : الله الله الله ، فأبدا بمصر العتيقة ثم بالقاهرة ثم بقرها حتى أصل الى مدينة غزة ثم الى القدس ثم الى الشام ثم الى حلب ثم الى بلاد العجم ثم الى البلاد التركية ثم الى بلاد الروم ، ثم أعدى من البحر المحيط الى بلاد المغرب، فأطوف عليها بلدا بلدا حتى أجيء الى اسكندرية ، ثم اعطف منها الى دمياط ثم منها الى اقصى الصعيد ثم الى اقصى بلاد العبيد ثم الى بلاد الرجر 81 وهى اقطاع جدى الخامس ، ثم اعطف الى بلاد التكرور وبلاد السكوت ، ومنها الى بلاد النجاشى ، ثم الى اقصى بلاد الحبشة ، وهى سفر عشر سنين ، ثم منها الى بلاد الهند ثم منها الى بلاد السند ، ثم الى بلاد الصين ، ثم ارجع الى بلاد اليمن ، ثم الى مكة ، ثم اخرج الى من باب المعلى الى الدرب الحجازى الى بدر ثم الى الصفراء ، ثم الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستاذنه عند باب السور، ثم ادخل حتى أقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فاصلى واسلم عليه وعلى صاحبيه، وأزور من فى البقيع ، ثم اقول سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين . وما ارجع الى دارى بمصر

إلا وأنا الهت من شدة التعب ، كانى كنت حاملا جبلا عظيما . ولا اعلم ان أحدا سبقنى الى مثل هذا الطواف . وكان ابتداء حصول هذا المقام لى فى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، فرأيت نفسى فى محقة طائرة فطافت بى سائر اقطار الارض فى لحظة ، وكانت تطوف بى على قبور المشايخ من فوق اضرحتهم ، إلا ضريح سيدي احمد البدوي وضريح سيدي ابراهيم الدسوقي رضى الله تبارك وتعالى عنهما ،فان المحفة نزلت بى من تحت عتبة كل من احدهما ومرت من تحت قبره . ولم اعرف الى الان الحكمة فى تخصيص هذين الشيخين بذلك . نفعنا الله تعالى بهما . والحمد لله رب العالمين) (لطائف المنن والاخلاق 173 174 نشر عالم الفكر ميدان الحسين القاهرة) .

4 - وفى الوقت الذى خيم فيه الجهل فى العصر العثمانى كانت اوربا تقوم بترجمة كتب ابن سينا و الخوارزمى والرازى وابن النفيس وابن رشد وغيرهم وتنشئ نهضتها على علمهم، ثم تقوم بالكشوف الجغرافية معتمدة على خرائط الادريسى و مهارة البحارة العرب ومنهم ابن ماجد وتحتل العالم الجديد ثم تلتفت الى بلاد المسلمين تحتل بلادهم . وعندما جاءت حملة نابليون تدك بمدافعها القاهرة اجتمع شيوخ الازهر فى حلقة يرتلون (صحيح البخارى) السننى و(دلائل الخيرات) الصوفى ، ليهزموا نابليون .

5 - وبدأ التفكير فى اصلاح حال المسلمين . وجاء أسوأ الحلول من نجد بالوهابية السعودية التى احييت سبب الجهل و التخلف وسفك الدماء ، وهو الفقه الحنبلى؛ أردأ فكر للمسلمين . وجاء الاتجاه الآخر للنهضة والاصلاح بالأخذ عن أوربا وهو ما فعله محمد على ثم الخديوى اسماعيل . وقد أسفر التحديث المدنى فى مصر عن تحديث الفكر الدينى فى مدرسة الامام محمد عبده ، ولكن أطفأ سراجها تسلل السلفية الى مصر تنشر الوهابية ، ونحن الان نشقى بانتشار الوهابية ونستعيد خرافاتها الفقهية من رضاع الكبير الى التداوى ببول الابل و التبرك ببول النبى .فالحمد لله جل وعلا الذى لا يحمد على مكروه سواه .

6 - وفق الثقافة السمعية التى نشرها الفقهاء و الصوفية تعود المصريون تصديق كل مزاعم وخرافات السلفيين دون نقد ، لأن النقد يعنى الاتهام بالكفر والاعتراض على ما وجدنا عليه آباءنا من ثوابت ، ووفق الثقافة السمعية التى يقوم عليها دين السنّة تعود المصريون تصديق الاتهامات الباطلة التى يطلقها السلفيون على المفكرين المسلمين الأحرار . وخلال أربعين عاما - ومنذ عصر السادات - أرسى القائمون على نشر الثقافة السلفية الوهابية تلك الثقافة السمعية التى تصدق كل ما يقال لها دون نقد أو تمحيص . وهم الآن يبركبون الموجة ليحكموا البلاد وليتحكموا

أخيرا
أفيقوا ايها الناس ..